



هل الصمت إزاء المجازرة أقل وطأة من وقاحة تأييدها أم أكثر فظاعة؟

ألحّ على السؤال وأنا أرافق التجاهل والبكم الذي أعقب قصف النظام السوري لريف إدلب وتحديداً على سوق الخضار في معرة النعمان حيث سقط العشرات من المدنيين، وتواترت الصور لمشاهد الضحايا وبدت الصور صادمة، تكومت الجثث بين الفاكهة والخضر المنتشرة فاختلطت حتى تداخلت الألوان والمجسمات فبدت مشهداً عبيضاً خالصاً، لم تدخل المأساة السورية بالكثير من اللحظات السوريالية وكانت مجازرة سوق الخضار في نفس هذا السياق الغرائبي المفجع.

وكما هو متوقع، تجاهلت صحف ووسائل اعلام عديدة وشخصيات سياسية شرقاً وغرباً المجازرة، وهذا ليس التجاهل الأول بل بدا الصمت عن مجازر إدلب منسجماً تماماً مع الصمت عن وثائق صحيفة "نيويوركر" التي ثبتت تورط الرئيس السوري مباشرة بعمليات التعذيب والإبادة للسجناء والمعتقلين.

هؤلاء الصامتون غالباً ما غلفو صمتهم حيال المقتلة السورية بذلة أن نظام بشار الأسد يحارب التكفيرين ورأينا كيف أن الصمت حيال ما يرتكبه نظام البعث السوري جرى تسويفه بخطاب يخفف عن فظاعات النظام ويقوضها لصالح تضخيم وتهويل فظاعات "داعش" ومثيلاتها وهي بالتأكيد مخيفة لكنها لا تقارن لا من حيث لكم ولا النوع بما يرتكبه النظام.

يعجز الصامتون عن المجازرة عن تأييدها علينا حتى لا يقال أنهم طائفيون فيلجمون حينها إلى الصمت والتجاهل وادعاء ربما

أن لا شيء يحصل سوى أن هناك نظاماً علمانياً حامياً للأقليات يحارب حفنة من التكفيرين.

بالنسبة إلى هؤلاء سيكون من الصعب أن يروا ضحايا سوق الخضار فيشيرون بصرهم تماماً كما سكتوا عن الوثائق التي قدرت بالأطنان والتي تدين بشار الأسد والتي كشفتها مؤخراً صحيفة "نيويوركر".

وغض الطرف ولو مرحلياً عما يرتكبه بشار الأسد لا يعفي من علاقة مثبتة مع قاتل، فالغرب الذي يرعى مفاوضات جنيف سيعجز عن تجاوز حقيقة على هذه الدرجة من الوضوح، وهذا قد انهارت المفاوضات وهذا الانهيار سابق على مجرزة قتل الباعة والمتجلولين في سوق الخضار في إدلب، فالمفاوضات فشلت لحظة تمكن حلفاء بشار الأسد من تعويمه إقليمياً ودولياً، فأي سلام وأي تسوية فيما الدماء تفيض بين سلال الفاكهة.

نعم، إنها أثمان فادحة أولها أن هناك إبادة جرت وتجري في سورية وأن المسؤول الأول عنها هو نظام البعث السوري ومع ذلك لا يزال قرار الإطاحة بـالأسد غير ناضج عند حلفاء النظام وحتى عند الأنظمة التي تقول إنها ضد دون أن تفعل شيئاً لوقف مجازره، فعلى ضحايا سوق الخضار أن يقبلوا بأغفالهم من الاهتمام بانتظار التسوبيات الكبرى وهنا مسؤولية فادحة على الغرب الذي يساهم مباشرة في إبقاء الأسد بحجة الخوف من التكفيريين ما يعني استمرار المقتلة.

لا قيمة لوثائق نيويوركر ولا أثر لها في مفاوضات جنيف، تماماً كما حال ضحايا مجرزة سوق الخضار، والعالم المرتعب من داعش يطلب من السوريين القبول والموت تحت قنابل بشار الأسد علماً أن ماسبيه إرهاب هذا النظام من ضحايا يفوق بكثير فيما لا يقاس مما تسببت به داعش وأنصارها، وهنا ليس المطلوب مفاضلة بين ضحايا وإنما الإقرار بحقيقة يتهرّب منها الجميع وهي أن الصمت على مجازر الأسد ينطوي على نوايا خبيثة ليس أقلها أن كل ذلك الموت لم يتم نضوجاً في المصالح والأهداف لوقفه، هذا يعني أن مجرزة إدلب الأخيرة ستبقى صوراً لبعض عربات خضار وفاكهه مبعثرة.. ليس أكثر.

أورينت نت

المصادر: